SIATS Journals

The Journal of Sharia Fundamentals for Specialized Researches

(JSFSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية

المجلد4 ، العدد3، تموز، جولاي 2018م.

e ISSN 2289-9073

AL'IISHKALIAT ALMUFAHIMIAT WALTATHYLYT LIMUSTALAH ALAISTISHRAQ - DIRASATAN LIL'ANSAQ ALMUDMIRAT ALEANIFAT WA'IIBDAE LILMUSTALAH

الاشكالية المفاهيمية والتأثيليّة لمصطلح الاستشراق – دراسة للأنساق المضمرة العنيفة وإبداع للمصطلح

الدكتورة نعيمة رحماني

جامعة تلمسان–الجزائر–

naima.rebat@hotmail.fr

1439هـ – 2018م

ARTICLE INFO
Article history:
Received 9/5/2018
Received in revised form 9/6/2018
Accepted 29/6/2018
Available online 15/7/2018

ABSTRAC

Defining the concept of Orientalism is among the issues that have a great importance in understanding the phenomenon. Under the overlapping concepts, it is difficult to have a precise concept of the phenomenon of Orientalism, because there are those who determine it as a note, and there are those who determine it as a phenomenon or a study. ,or a method. without losing sight of the strong turbulence of the concept at the level of employment and understanding. So what are the historical and representative antecedents of this term? What is its relationship with Islamic heritage? And why this inconsistency in understanding and employment? What are the models under the banner of Orientalism? How can we innovate in the fabrication of a term that reflects the phenomenon and takes into consideration the Islamic heritage, and not collide with beliefs?

الملخص

تحديد مفهوم مصطلح الاستشراق من بين الاشكالات المطروحة، والتي تكتسي أهمية بالغة في فهم الظاهرة الاستشراقيّة. وبموجب المفاهيم المتداخلة يتعسّر علينا إفادة مفهوم دقيق لظاهرة الاستشراق، بيد أن هناك من يعدّه علما، وهناك من يعدّه ظاهرة وهناك من يعدّه أسلوبا أو دراسة، دون إغفال الاضطراب الشديد الذي يعرفه على مستوى التوظيف والفهم. فما هي الخلفيّات التاريخيّة التأثيليّة لهذا المصطلح؟ وما هي صلته بالتّراث الإسلاميّ؟ ولماذا هذا التضارب في فهمه وتوظيفه؟ وما هي الأنساق المضمرة تحت راية الاستشراق؟ وكيف يمكننا الابداع في صناعة مصطلح يعبّر عن الظّاهرة ويراعي المجال التراثي الاسلامي، ولا يصطدم مع الكلّيات الاعتقاديّة؟

المقدمة

لم يتجلّ الإشكال في مفهوم مصطلح الاستشراق لغويّا عند الباحثين بالحدّة نفسها التي خبِرها اصطلاحيّا، رغم أنّ الشّقاق واللاتوفيقيّة موجودان على المستويين، فالمعنى اللّغوي يختلف تماما عن المعنى الاصطلاحي، هذا الأخير المشبع بأبعاد مستترة تستجيب للمجال الثقافي الغربي، وهو منقول ومترجم بقلق لغويّ يسبّب التشويش العقلي والفكري أثناء محاولة فهم مدلولاته. فمن أبجديّات الترجمة العادلة للمصطلحات الغربيّة استحضار الجانب الاشاري الذي يحمل بين طيّاته اللّغة والعقيدة والمعرفة الاسلاميّة، وهذا ما غاب في مفهوم الاستشراق المتداول حاليّا. ويحضرنا السّؤال لماذا تمّت الاستعانة بكلمة شرق واضافة حروف الالف والسّين والتّاء، ولم تتمّ الاستعانة بكلمة التشريق أو التشرّق بما أنّها تدلّ كلّها على الذهاب صوب الشّرق؟ ولماذا يغيب مفهوم الاستشراق عند عامّة الناس ولا يستحضر إلا بعد بحث عميق عنه، بينما يحضر عند النّخبة والمتخصّصين؟ هل يعود ذلك إلى غياب البعد المفاهيمي بين الجانب اللّغوي والجانب الاصطلاحي؟ في هذا المقام سنحاول التعرّض لكلّ هذه الاشكالات بمساءلة نقدية تحيلنا إلى تأثيل مصطلح الاستشراق لتفادي قلق العبارة وقلق الفهم.

لم يرد مصطلح الاستشراق بالمعنى الذي نعرف حاليّا في المعاجم القديمة، فقد حدّد ابن منظور مفهومه من المكان وقدّر اسم المكان الذي تشرق منه الشمس شرقيّا، ومن ذهب إلى الشّرق فقد شرق.[1] في حين عرض قاموس أكسفورد كرونولوجية تَكَشُّف المصطلح وتغيّر معانيه بتفصيلية أكثر، حيث اعتمد عام 1683م بمعنى عضو الكنيسة، ثم تحوّل المعنى عام 1738م ليدلّ على صاحب التفكير الذكيّ والفطنة أكثر من الفرد اليوناني، كما استشهد القاموس بشيوعه عند هومر Homerعام 1774م بما يقصد به البحث الشّرقي أو المعرفة بلغات الشّرق، ثم أصبح يعني ما بين1779م و 1781م الشّخص المتمرّس في اللّغات الشّرقية وفي الادب الشّرقي وبعدها توسّع مفهومه بين 1791م و1823م وصار يعني المستشرقين الذين يكتبون من اليمين إلى اليسار؛ أي اللّغات العربيّة والفارسية والعثمانية وغيرها من اللّغات الشّرقية. [2] ثم حال المعنى في المعاجم ليعطي مفهوما أقرب للمفهوم المقصود، حيث جاء في المنجد في اللّغة العربيّة، أشرق

[1] ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج8، 2003، ص64

[2] عبد الجبار ناجي، الاستشراق في التأريخ، المركز الاكاديمي للأبحاث، بيروت لبنان،2013، ص 116

صار مستشرقا، واستشرق اهتم بالدّراسات الشّرقية، والمستشرق أديب غربي يهتم بدراسة تراث الشّرق وحضاراته ولغاته.[3] وورد المفهوم نفسه في قاموس لاروس؛ الذي عرّف المستشرق بالباحث الذي له علاقة بالاستشراق، والمختصّ في الحضارات الشّرقية.[4] رغم كلّ هذه التّعريفات اللّغوية إلاّ أنّه يجدر بنا التّنويه إلى أنّ الدّراسات الاستشراقيّة كانت قد سبقت ظهور مصطلح الاستشراق بزمن طويل يصل الى قرابة ألف عام.[5]

هذا بالنسبة للمفهوم اللّغوي، أمّا المفهوم الاصطلاحي للاستشراق فقد عرف تداخلات والتباسات وفيرة مردّها إلى المراحل المتباينة التي مرّ بها من دينيّة إلى سياسيّة إلى علميّة، وفي كلّ مرحلة يظهر معنى مُبتكر، وخصائص حديثة تبعا للأهداف والسياسات المنشودة؛ فحينا يعتبر علما، وحينا ظاهرة، وحينا أسلوبا وحينا آخر، نمطا وهكذا.

وبما أنّ الاستشراق قد عرف تحوّلات كثيرة ولم يتثبت على معنى محدّد مثل باقي العلوم الانسانية، بل وقد احتوى على مجموعة من العلوم، فلا يمكن اعتباره علما، بل هو كما وصفه الباحث ساسي الحاج ظاهرة ثقافية نمت وازدهرت وتطوّرت ثم تقلّصت آثارها وضاقت حقولها. [6] ويساند الفكرة نفسها الباحث محمد دسوقي الذي يعتبر الاستشراق "ظاهرة فريدة في تاريخ الفكر الانساني، لم يعهد أنّ طوائف متباينة العقائد والثّقافات والجنسيّات أطبقت كلمتها على دراسة دين لا تؤمن به كما فعل المستشرقون".[7] وهنا نتبيّن أنّ المفهوم عند الباحث محمد دسوقي قد ارتبط بالنّسق الدّيني للغير. وفي السّياق نفسه يربط المفكر مالك بن نبي النّسق السّياسي بالنّسق العقائدي ليعتبر الاستشراق هوى سياسيّا ودينيّا هدفه هدم هويّة المسلمين وحضارتهم؛ "وغاية هذا الهوى السّياسي والدّيني هو في هدم الأصول والثّوابت التي بنيت عليها الثّقافة الاسلاميّة، والشكّ في المصادر الأساسيّة لهذه الثّقافة."[8] ثم يأخذ مفهوم الاستشراق منحى آخر عند الباحث ادوارد سعيد فيصفه تارة بالظاهرة وتارة بالأسلوب، وتارة أخرى بالنّمط في عدة مقامات في كتاباته، ويربط الخطاب الاستشراقي بالنّسق السّلطوي، ليعتبره "أسلوبا عربيّا للهيمنة على الشّرق، وإعادة بنائه، والتسلّط عليه، في مجالات

[3] المنجد في اللّغة العربيّة، دار المشرق، باب حرف الشين، 2003، ص765.

[4] Le petit La Rousse (grand format), La Rousse 2005, p 763

[5] محمد قدور تاج، الاستشراق، ماهيته، فلسفته، ومناهجه، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ، عمان، الاردن، ط1، 2014م، ص17

[6] ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدار الإسلاميّ، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط1، 2001، ص22

[7] محمد الدسوقي، الاستشراق والفقه الإسلاميّ، مقال في مجلة كلية الشريعة والدّراسات الاسلاميّة، جامعة قطر، العدد الخامس، 1987م، ص 701.

[8] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، طبعة دار الفكر، دمشق، 1985، ص22

السّياسة وعلم الاجتماع، والمجالات العسكريّة، والايديولوجيّة، والعلميّة، والخياليّة."[9] ثم يذكر أيضا أنّه "نمط من الاسقاط الغربي على الشّرق وإرادة السيطرة عليه.[10]؛ و"أسلوبٌ للخطاب؛ أي للتفكير والكلام، تدعّمه مؤسّسات ومفردات وبحوث علميّة، وصور، ومذاهب فكرية، بل وبيروقراطيّات استعماريّة، وأساليب استعماريّة."[11] نستشفّ إذن مدى

ارتباط الاستشراق عند الباحث ادوارد سعيد بالسّيطرة الأوروبيّة الأمريكيّة على الشّرق أكثر من كونه خطابا صادقا حوله. ولاحقا يتغيّر المفهوم من ارتباطه بالنّسق السّلطوي السّياسي إلى ارتباطه بالنّسق المعرفي الأكاديميّ والبحثيّ العلميّ المنهجيّ بغضّ النّظر عن أهدافه، فيذهب الباحث ساسي سالم الحاج إلى اعتبار الاستشراق "الدّراسة المتقصّية المتنوّعة المتعدّدة الاغراض التي مارسها الغربيّون لمحاولة فهم الشّرق والتعرّف إلى كنوزه الحضاريّة، وعاداته وتقاليده وحضارته وديانته وكلّ منحى من مناحي حياته، مهما كان الغرض الدّافع إلى هذه الدّراسة سواء أكانت لأهداف دينيّة أو عسكريّة أو سياسيّة أو اقتصاديّة أو علميّة."[12]

ومن جانب آخر نجد أنّ مفهوم الاستشراق قد ارتبط عند بعض الباحثين بالنّسق الجغرافي المتمثّل في التّقسيم شرق-غرب، ليدلّ عند الباحث ادوارد سعيد على "أسلوب فكر يقوم على التّمييز الوجوديّ والمعرفيّ بين ما يسمّى "الشّرق"، وبين ما يسمّى" الغرب"[13] وقد نَهَج في تعريفه نَهْج الغرب الذي استجار بتقسيم نيومان للعالم الى شمال بارد بربري جنوب دافئ حضاري، وشرق وغرب مع افتراض غرب متحضّر إزّاء شرق بربري مسكون بالخرافات. [14] ويجدر التّلميح هنا إلى أنّ مصطلح الشّرق عند الغرب لا يعني النّسق الجغرافي فقط بل يتعدّاه ليصف النّسق الثقافي بما يحمله هذا الشّرق من عادات وتقاليد وأفكار، وتراث وأديان اهتمّ بها المستشرقون. كما أنّ الدّراسات الاستشراقيّة عُنيت أيضا بدراسة شمال إفريقيا وباقي البلدان الاسلاميّة في العالم للكشف عن ثرواتها بغية تأمين مصالح الدّول الغربية.

---

[9] ادوارد سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص45-46

[10] ادوارد سعيد، الاستشراق المعرفة، السلطة، الانشاء، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الابحاث العربيّة، بيروت، 1981، ص120

[11] ادوارد سعيد، المرجع نفسه، ص44

[12] ساسي سالم الحاج، مرجع سابق، ص20

[13] ادوارد سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، مرجع سابق، ص 45

[14] محمد الدعمي، الاستشراق الاستجابة الثّقافيّة الغربية للتاريخ العريب الإسلاميّن، مركز دراسات الوحدة العربيّة، لبنان، ط2، 2008، ص69-72

ولقد أعانت التّفرقة الجغرافيّة "شرق" غرب" على صياغة نظريّات، وكتابة روايات وقصص مليئة بالفنتازيا وضروب الخيال، أدرّت معها مصطلحات أصبحت لصيقة بالشّرق الرومانسي؛ كمصطلح الحريم الذي يوحي بالانغماس في ملذات الحياة، والرجل الشّرقي الشهواني. تلك المصطلحات الحاملة للدلالات المشوّهة للحقائق، والتي تفشّت بصورة لافتة في إنتاجات ودراسات المستشرقين حول الشّرق الخيالي وأهله مقارنة بالغرب. حيث جاء على لسان ديريك هوبود في كتابه التصّورات الجنسيّة عن الشّرق الأوسط، "عُرض الشّرق بكيفيّة تتجاوز الصّورة السّائدة التي تختزله إلى مهد الحكايات الغرائبيّة...فالغرب مُهيمن، والشرق مذعن. والغرب عقلانيّ ومتقدّم، والشّرق مبهم ومتخلّف. الغرب ذكورة، والشّرق أنوثة. الأوّل منضبط جنسيّا (ونتيجة فهو الأقوى)، والأخير داعر ومنفلت العقال. وقد قدّمت هذه التنميطات تبريرا للإمبريالية ومنحتها حقّ السّيطرة على الآخر."[15]

وإذا عرجنا صوب مصطلح المستشرق، نجد أنّ الغموض يكتنفه، فهو يعرف إشكالا من نوع آخر متعلّق بالجدل القائم بين النّسق الدّيني والنّسق الجغرافي، فهل نضفي على المستشرق الغربي الصّفة المسلمة أم غير المسلمة؟ الغربية أم الشّرقية؟ المتمكّن من اللّغات الشّرقية؟ أم غير المتمكّن منها؟ المستشرق أم المستعرب؟ المستشرق أم المؤرّخ؟

لقد رأينا آنفا أنّ الاستشراق يضمّ ثلّة من علماء الغرب الذين تخصّصوا في لغات الشّرق ودرسوا تراث وحضارة المجتمعات الشّرقية. كما أفضى إلى ذلك المفكّر مالك بن نبي قائلا أنّ المستشرقين هم: "الكتّاب الغربيّون الذّين يكتبون عن الفكر الإسلاميّ وعن الحضارة الاسلاميّة..." [16]وهنا يُستبان جليّا أنّ المفكّر مالك بن نبي يعتبر المستشرق ذلك الشّخص الغربيّ وليس الشّرقيّ الذي يكتب عن التّراث الإسلاميّ. ويسانده الرّأي الباحث محمد قدور تاج الذي يعتبر المستشرق "ذلك الغربي الذي يدرس تراث الشّرق وكلّ ما يتعلّق به وبعلومه...والاستشراق دراسة يقوم بها غير الشّرقيين لتراث الشّرق."[17] ويجنح إلى الرّأي نفسه الباحث سالم ساسي الحاج الذي يرى أنّ "الاستشراق هو تلك الدّراسات والمباحث التي قام بها الغربيّون لمعرفة الشّرق من جميع جوانبه."[18] ثمّ يذكر أيضا في السّياق نفسه الباحث أحمد حسن زيات أنّه

---

[15] ديريك هوبود، التصورات الجنسية عن الشرق الاوسط، البريطانيون والفرنسيون والعرب، ترجمة ناصر مصطفى أبو الهيجاء، هيئة ابة ضبي للثقافة والتراث، ابو ضبي، 2009، ص15

[16] مالك بن نبي، انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلاميّ الحديث، ط1، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1969، ص5

[17] محمد قدور تاج، مرجع سابق، ص17

[18] ساسي سالم الحاج، مرجع سابق، ص22

يراد بالاستشراق "دراسة الغربيّين لتاريخ الشّرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره..."[19] ونجد أيضا من الباحثين من حدّد القارّة التي ينتمي إليها المشترق من بينهم الباحث أحمد الشرباصي الذي اعتبر "المستشرقين قوم من أوروبا....لكلّ منهم لغته الأصليّة...ومع ذلك تعلّم اللّغة العربيّة بجوار لغته الأصليّة ليدرس حضارة الشّرق وعلومه وآدابه."[20] نلاحظ أنّ التّعريف الأخير يركّز على تعلّم المسشترق للغات الشّرق، ولكنّه في الوقت نفسه يختزل المستشرقين ويركّز على المنتمين إلى قارة أوروبا فقط. وماذا بشأن الإستشراق الأمريكي والروسي؟ رغم أنّ الاستشراق الأمريكي هو امتداد للاستشراق الأوروبي وهو وريث مجمل تصوّراته الجاهزة عن العالم الاسلامي، إذ تعود أولى التفاتات أمريكا إلى الشّرق عام 1810م، عبر مؤسّسات الجمعيّة التبشيريّة الأمريكيّة في تركيا وسوريا وفلسطين. ليبدأ الاستشراق عمليّا بعد الحرب العالميّة الثّانية عندما حلّت أمريكا محلّ بريطانيا في المشرق العربي، حيث أصدر مجلس الشيوخ عام 1958م مرسوما يشجّع الاهتمام بالدّراسات العربية والاسلاميّة، وتأسّست على إثره الرّابطة الأمريكيّة لدراسة الشّرق الأوسط عام 1959م.[21] أمّا الاستشراق الرّوسي فقد بدأ فعليّا مع تدريس اللّغات العربيّة في الجامعات الرّوسية وتأسيس أقسام اللّغة العربيّة في القرن التّاسع عشر خاصة عام 1817م.[22] نعود إلى مناقشتنا السّابقة لنجد أنّ جلّ الباحثين العرب يعتبرون المستشرق غربيّ الأصل، وحتى بعض الغربيّين أمثال المستشرق الفرنسي أندري ميكال André Miquel 1929م الذي يرى أنّ "الاستشراق يعني أنّ باحثا غربيّا يقوم بأبحاث حول الشّرق، والشّرق يمكن أن يكون العالم العربي أو الصّين".[23] في حين لم يحدّد الباحث إدوارد سعيد في كتاباته إن كان المستشرق شرقيّا أو غربيّا، إذ اعتبره "كلّ من يعمل بالتّدريس أو الكتابة أو إجراء البحوث في موضوعات خاصّة بالشّرق..."[24]

---

19 احمد حسن الزيات، تاريخ الادب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، دت، ص512

20 احمد الشرباصي، التصوف عند المستشرقين، مطبعة نور الامل، سلسلة الثقافة الاسلاميّة، 1966، ص6

21 رشيد بلحبيب، الاستشراق الامريكي..طبيعته وخلفياته/ مقال استخرج بتاريخ من الرابط http://www.madinacenter.com/post.php?DataID=42 بتاريخ 2018/01/13 على الساعة 21:17

22 مقال مدرسة الاستشراق الروسي استخرج من الرابط https://marefa.org بتاريخ 2018/01/13م، على الساعة 21:33

23 محمد قدور تاج، مرجع سايق، ص26

24 ادوارد سعيد، االستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، مرجع سابق، ص44

إذن، وبحسب ما ورد سابقا هل يصحّ حصر المستشرق وتحديد انتمائه إلى البيئة الغربيّة دون البيئة الشّرقية؟ رغم أنّ الكثير من المستشرقين من الغرب سكنوا الشّرق، والكثير من الباحثين من الشّرق سكنوا ودرسوا في الغرب. يحضرنا الردّ على لسان الباحث علي إبراهيم النملة الذي يرى أنّ المفهوم المتداول سابقا قد تغيّر، وباتت الصّفة غير المسلمة للمستشرق

بديلة عن الصّفة الغربيّة، وضروريّة للمستشرق الدّارس للتراث الإسلاميّ، بغضّ النّظر إن كان شرقيّا أو عربيّا. وهكذا أضحى "المستشرق كلّ باحث غير مسلم عربيّا كان أو شرقيّا، ليس فقط من أوروبا بل حتى من آسيا (الصين واليابان والهند مثلا)". [25]

ومن إشكالات مصطلح المستشرق أيضا، تداخله مع مصطلح "المستعرب" نسبة إلى ظاهرة "الاستعراب"، ويقصد به الباحث المهتمّ بدراسة العرب وحضارتهم، مع العلم أنّ المقصود من المصطلح في الأصل فئة المسيحيّين الذين كانوا يتقنون اللّغة العربيّة بعدما تم إخراج المورسكيين من الأندلس، وليس لهذه الفئة اهتمام حصريّ بدراسة التّراث الإسلاميّ الشّرقيّ. [26] وبالتّشديد على المفهوم الأخير يتبيّن لنا وجود اختلاف كبير بين المستشرق والمستعرب، وبالتّالي لا يمكن للمستشرق أن يكون مستغربا والعكس صحيح.

إضافة إلى مصطلح المستعرب، يهمّنا كثيرا في هذا المقام معرفة العلاقة بين المستشرق الذي يكتب عن تاريخ التّراث الإسلاميّ، وبين المؤرّخ غير المسلم والمتخصّص في التاريخ الإسلاميّ. ولإدراك لبّ العلاقة التي تربطهما نعود إلى قاموس أكسفورد الذي عرّف المستشرق بالعالم المتضلّع بلغات الشّرق وأدبه وتاريخه.[27] ليتبيّن لنا أنّ التمكّن من اللّغات الشّرقيّة، ومعرفة المضانّ الاسلاميّة من سمات المستشرق. وهذه الخاصيّة تشكّل فارقا قويّا بين المستشرق والمؤرّخ الذي يدرس التاريخ الإسلاميّ وهو إذن غير ملزم بإتقان اللّغات الشّرقيّة، ويتسنّى له في هذه الحالة الاستعانة بالمستعرب[28] العارف بخبايا اللّغة العربيّة من أجل الاطّلاع على تاريخ التّراث الإسلاميّ، أو يستعين بدراسات المستشرق وأفكاره وايديولوجيته الجاهزة حول التّراث الإسلاميّ، ويكتفي ببناء آرائه عليها. وحينئذ قد يزلّ المؤرّخ في معضلة عويصة تتعلّق بنقل المعلومات الجاهزة دون تمحيص وتدقيق كأنّها حقائق تاريخيّة.

---

[25] اعلى بن إبراهيم النملة، الاستشراق والدّراسات الاسلاميّة، السعودية، مكتبة التوبة، 1977م، ص124

[26] ناجي عبد الجبار، مرجع سابق، ص 63 -69

[27] ناجي عبد الجبار، المرجع السابق ، ص 72

[28] المرجع نفسه، ص 108

وفي خضمّ اهتمام الباحث العربيّ بظاهرة الاستشراق، ووعيه بمدى الاساءة إلى التّراث الإسلاميّ، وسعيه ابتغاء الدّفاع عن تراثه، والتّعاطي مع ظاهرة الاستشراق والمستشرق. هجر المستشرقون المصطلح، وخرجوا من الباب الواسع وأوصدوه، وانصرفوا عن الظاهرة (مؤقتا) وما سبّبته من ازعاج للعالم الإسلاميّ. حيث عقدوا آخر مؤتمر للمستشرقين عام 1973م في فلورنسا،[29] وعزموا التوقّف عن استخدام مصطلح الاستشراق وتعويضه بمصطلح "العلوم الانسانيّة في آسيا وإفريقيا الشّرقية".[30] وقد آثر بعض المتخصّصين في الشّرق اعتماد مصطلح "الدّراسات الشّرقية"، أو مصطلح "دراسات المناطق"، ومردّ ذلك التّغيير إلى أنّ مصطلح الاستشراق يتّسم في نظرهم بالغموض والتّعميم، ويوحي بنزعة الاستعلاء الأوروبي خاصّة الاستعماري منه في القرن 19م ومطلع القرن20م.[31] إضافة إلى هذا نجد من المسشترقين أنفسهم من يرفض نعته بالمستشرق أمثال؛ المستشرق الفرنسي أندري ميكالAndré Miquel 1929م الذي قال: "أنا لست مستشرقا وأرفض هذه الكنية، أنا عروبيّ سحرني الأدب العربي فانكببت عليه بحثا ودراسة."[32] فهو اذن يرفض هذه التّسمية بسبب الدّلالة التّاريخيّة للمعنى المرتبطة في أذهان المسلمين بالاستعمار.

في خلال كلّ ما ذكر سابقا عن المصطلح المقصود يمكننا القول أنّ الاستشراق ظاهرة اتّسمت بدراسة خصوصيّات تراث الحضارات الشّرقية المحدّدة بالّتقسيم شرق غرب الذي وضعته الدّول الغربيّة، بما فيه تاريخها ولغاتها وآدابها وفنونها وعلومها وتقاليدها وعاداتها في خلال أيّ خطاب يُعنى بالتّراث الاسلامي، محاولة بذلك احتواء تلك الحضارات بخلفيات نظريّة ومنهجيّة ثقافية غربيّة استعلائية ومركزية، عِللها الغائيّة متباينة بحسب الفترات الزمنيّة والتّاريخية التي توالت عليها. بعدما انتهينا من عرض مفهوم الاستشراق ورصدنا أهمّ معانيه عند الشّرق والغرب وكرونولوجيتة، لابأس أن نقف قليلا عند المفهوم اللّغوي والاصطلاحي للاستشراق رغم أنّ الغرب قد هجر المصطلح اللّغوي ولكنّه أبقى على مفهومه الاصطلاحي، وهو لا يزال يمارسه حتى اللّحظة. نريد فقط رصد العلاقة بين الجانب اللّغوي والجانب الاصطلاحي أثناء ترجمة المصطلحات الغربيّة، فمفهوم الاستشراق ليس مستمدّا من المدلول اللّغوي الذي رأيناه سابقا، بل من المدلول المعنوي لشروق الشّمس.[33] حيث تمّ استنساخ المصطلح من دون تمييز بين ما هو لغوي يختصّ به اللّسان الغربي وما هو

[29] ادوارد سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، مرجع سابق، ص 50

[30] ناجي عبد الجبار، مرجع سابق، ص47

[31] ادوارد سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، مرجع سابق، ص44

[32] محمد قدورت تاج، مرجع سابق، ص26

[33] عبد الله محمد الامين، الاستشراق في السيرة النبويّة، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، القاهرة، 1997، ص16

اصطلاحي يخصّ المجال التداولي الغربي، مع العلم أنّ القواعد العربية والتراكيب النحوية والصرفية تختلف تماما عن القواعد الغربية، كما أنّ المصطلح يضمر أفكارا غربيّة احتضنته أوّلا. وكنتيجة لذلك عندما نذكر مصطلح الاستشراق لا يتبادر إلى أذهاننا (خاصّة عامّة الناس) أنّ القصد منه دراسة التّراث الاسلامي الشّرقي دراسة منزّهة أو غير ذلك، فما السّبب وراء ذلك؟ السّبب هو أنّ مصطلح الاستشراق ترجم حرفيّا عن المصطلح الغربيّ Orientalisme وقد ترجم مع مراعاة الجانب الإشاري الغربي الذي يقوم على الفلسفة اليونانيّة والعقيدة المسيحيّة والقوانين الرّومانيّة واصطبغ بها. ولم يراعى فيه الجانب الإشاري الاسلامي المرتكز على العقيدة الاسلاميّة واللّغة العربيّة والمعرفة الاسلاميّة في تكامليّة منسجمة، يسمّيها الباحث طه عبد الرّحمن المجال التداولي ويقصد به "جملة من المبادئ اللّغويّة والعقديّة والمعرفيّة التي يتّبعها كافّة أفراد الأمّة، سواء أوعوا بذلك أم لم يعوا، مستثمرين لها في إنشاء أقوالهم وإتيان أفعالهم."[34] فاحترام العقيدة الاسلاميّة أثناء الصّياغة المفاهيميّة يمنع ظهور صدام مع الكلّيات الاعتقادية، ويحفظ لكلّ أمّة معتقداتها، وبمراعاة اللّغة نتفادى قلق العبارة أثناء التّعبير والتّبليغ، وبمراعاة المعرفة الإسلاميّة نحصل على معرفة نافعة تجمع بين العلم والعمل. ولهذا نجد أنّ جلّ المؤلّفات الشرقيّة وقعت في تصادم مع العقيدة الاسلاميّة ولم تستوعب غاياتها لأنّها لم تراعي الجانب الاعتقادي أثناء ممارسة الاستشراق. كما أنّ عدم احترام عادات اللّغة العربيّة في التّعبير أدّى إلى إنتاج مصطلح غريب عن المجتمع وغير متداول لدى العامّة ومرتكز على التّفرقة الغربيّة شرق-غرب، وعدم مراعاة المعرفة الاسلاميّة لا يجعل للمصطلح قضيّة علميّة تثمر وتنتج عملا مفيدا للمجتمع. فمفهوم مصطلح الاستشراق ليس مفهوما إبداعيّا بقدر ما هو مفهوم إتّباعيّ يرتكز على عمليّة تقليد للمفاهيم الغربيّة التي نعتقد مسبقا أنّها مفاهيم كونيّة وصحيحة. بل سنذهب إلى حدّ القول بأنّ مصطلح الاستشراق مشبع بالمضمرات الإشاريّة والتداوليّة الغربيّة المسيحيّة، وفارغ من المجال التداولي الاسلامي. ولكي نصنع أو ننتج مفهوما صحيحا علينا استثمار المدلول اللغوي، وقد قلنا سابقا أنّ مصطلح الاستشراق ليس مستمدّا من المدلول اللّغوي، بل من المدلول المعنوي لشروق الشّمس، وهذا يجعله غير ملائم لتلك الظاهرة المشبعة بالأبعاد الخفيّة؛ إذن وجب على المترجم وصانع المفهوم أن يبحث في المعاني اللغويّة للكلمات ويضع المقابلات الاصطلاحيّة للمفاهيم المنقولة، وتراثنا غنيّ بالمعاني والكلمات التي تفيد ايّ مصطلح غربيّ دون الاخلال بالمجال التداولي الاسلامي، ولتأثيل المفهوم وجب تزويد الجانب الاصطلاحي منه بجانب إشاري يربطه بالمجال التداولي الاسلامي، وبهذا يمكننا صنع مصطلح شبيه بمصطلح الاستشراق ولكنّه أكثر دلالة منه، يحمل تأثيلا مضمونيّا بحيث يكون اللّفظ سابقَ

[34] طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة(2) القول الفلسفي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2005، ص 98

دلالة وسابقَ استعمال، ويحمل تأثيلا لغويّا أي يحمل معنى لغويّا، ويحمل تأثيلا استعماليّا، بحيث يمكن استحضار الاستعمالات السابقة له وبمعناه في مقامات مختلفة، ويحمل أيضا تأثيلا نقليّا؛ بمعنى نقل المفهوم من دائرة المحسوس إلى دائرة المعقول،[35]ثمّ التأثيل الحقلي الذي يربط المفهوم بالمفاهيم التي تدخل في نطاقه. [36]

ختاما يمكننا اقتراح عدّة مصطلحات حاملة للمعنى اللّغوي والاصطلاحي معا عوض مصطلح الاستشراق القاصر، ومنها مثلا مصطلح الاجتياح، وإضافة المدلول ليصبح الاجتياح الغربي للمجال الاسلامي بما فيه من معتقدات ولغة ومعرفة. فمصطلح الاجتياح يعطينا ربطا قويّا بين المفهوم اللّغوي والاصطلاحي، الأمر الذي يضفي الانفهام[37]؛ أي حصول المفهوم من اللّفظ. ومصطلح الاجتياح يحمل في مفهومه الاجتياح الاستعماري السّلبي أكثر من المعرفي الايجابي، لهذا يمكننا تضمين المصطلح الجانب السّلبي من الأعمال الاستشراقية، بينما نخصّ الأعمال الرصينة الهادفة والتي يرفض أصحابها الانضواء تحت مسمّى الاستشراق بمصطلح آخر له علاقة بدراسة التراث الاسلامي. إنّ المصطلح المقترح لا يهدم المصطلح الغربي ولا يحرّفه بل يعبّر عنه أحسن تعبير، ويسوقه في إطاره الذي أنشأ من أجله، وهو مقابل عربيّ مألوف للمصطلح المنقول (الاستشراق)، فالباحث المشبع بالعقيدة الاسلاميّة واللّغة العربية والمعرفة الاسلاميّة النافعة البنّاءة لابدّ عليه أن يمارس سلطته على المصطلح الغربيّ. وهكذا يستثمر المصطلح المزوّد بالمجال التداولي المعارف المختلفة، ويرفع عقبات الفهم ويزيد في توسيع استعمالاته الفكريّة.

المصادر والمراجع:

1) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج8، دار صادر، بيروت، لبنان، 2003.

2) أحمد قدور تاج، الاستشراق، ماهيته، فلسفته، ومناهجه، ط1، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ، 2014م.

3) احمد حسن الزيات، تاريخ الادب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، دت.

4) احمد الشرباصي، التصوف عند المستشرقين، مطبعة نور الامل، سلسلة الثقافة الاسلاميّة، 1966.

5) ادوارد سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.

[35] مثلا النظر بالعين محسوس، والنظر بالقلب معقول

[36] طه عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 129- 139

[37] للتعمّق أكثر ينظر مؤلّف طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة، ص64

6) ادوارد سعيد، الاستشراق المعرفة، السلطة، الانشاء، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الابحاث العربيّة، بيروت، 1981.

7) ديريك هوبود، التصورات الجنسية عن الشرق الاوسط، البريطانيون والفرنسيون والعرب، ترجمة 8) ناصر مصطفى أبو الهيجاء، هيئة ابة ضبي للثقافة والتراث، ابو ضبي، 2009.

9) رشيد بلحبيب، الاستشراق الامريكي..طبيعته وخلفياته/ مقال استخرج بتاريخ من الرابط http://www.madinacenter.com/post.php?DataID=42 بتاريخ 2018/01/13 على الساعة 21:17

10) ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدار الإسلاميّ، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط1، 2001.

11) طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة(2) القول الفلسفي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المعرب، ط2، 2005.

12) عبد الجبار ناجي، الاستشراق في التأريخ، المركز الاكاديمي للأبحاث، بيروت لبنان،2013.

13) عبد الله محمد الامين، الاستشراق في السيرة النبويّة، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، القاهرة، 1997.

14) على بن إبراهيم النملة، الاستشراق والدّراسات الاسلاميّة، السعودية، مكتبة التوبة، 1977م.

15) مالك بن نبي، انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلاميّ الحديث، ط1،دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1969.

16) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، طبعة دار الفكر، دمشق، 1985، .

17) محمد الدسوقي، الاستشراق والفقه الإسلاميّ، مقال في مجلة كلية الشريعة والدّراسات الاسلاميّة، جامعة قطر، العدد الخامس، 1987م.

18) محمد الدعمي، الاستشراق الاستجابة الثّقافيّة الغربية للتاريخ العريب الإسلاميّن، مركز دراسات الوحدة العربيّة، لبنان، ط2، 2008.

19) مقال مدرسة الاستشراق الروسي استخرج من الرابط https://marefa.org بتاريخ 2018/01/13م، على الساعة 21:33

20) المنجد في اللّغة العربيّة، دار المشرق، باب حرف الشين، 2003.

21) Le petit La Rousse (grand format), La Rousse, 2005